تفسير
سورة التين

تفسير سورة التين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والتين والزيتون. وطور سينين. وهذا البلد الأمين. لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم. ثم رددناه أسفل سافلين. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون. فما يكذبك بعد بالدين. أليس الله بأحكم الحاكمين﴾.

جملة الكلام في عمود السورة ومضمونها ونظمها

يرى في بادي النظر أن عمود السورة هو إثبات الدين، أي الدينونة والقضاء على الإنسان حسب أعمالهم.

فبدأ السورة بالقسم على سبيل الاستشهاد. وقد بينا في كتاب "الإمعان" أن هذه الأقسام نوع خاص من القسم، ويراد به الاستشهاد على ما أقسم عليه، وليست في شئ من التعظيم للمقسم به. فإنما هي شهادات لا غير.

فعلى هذا الأصل استشهد بأربع شهادات مشيرة إلى وقائع الدينونة في الدنيا، ليتذكروا أن الله تعالى ليس بغافل عما يعمل عباده. فإنه لم يزل يدينهم بالقسط ويحكم عليهم بالحق. وأبطل بذلك الشبهة في وقوع الدينونة يوم القيامة. وهذا النوع من الاستدلال كثير في القرآن. مثلا:

﴿والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات أمرا

إنما توعدون لصادق و إن الدين لواقع﴾ [سورة الذاريات/١-٦].

أيضا: ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك كلا بل تكذبون بالدين﴾ [سورة الانفطار/٦-٩].

فاستشهد بأفعاله على كونه ديانا. فهكذا ههنا استدل بوقائع الدينونة على وقوع الدين. ثم ختم الكلام بالدليل اللمى، وهو الاستدلال بوصف الرب تعالى. وهذا أقوى الدلائل مع غفلة الناس عنه. فاختار فيه أسلوب الاستفهام ليدل على كون الإنكار به في غاية الاستبعاد، كما ترى ذلك في قوله تعالى:

﴿أ فنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون﴾ [سورة القلم/٣٥-٣٦].

وقوله: ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم﴾ [سورة البقرة/٢٨].

وقوله: ﴿أ في الله شك فاطر السماوات والأرض﴾ [سورة إبراهيم/١٠].

وهذا كثير في القرآن. فكذلك ههنا أورد البرهان اللمي على أسلوب الاستفهام.

ومما ذكر من الشهادات دل أيضا على طرف خاص من الدينونة، وهو إثبات هذه البعثة. وقد كثر في القرآن الاستدلال على النبوة بكونها من أكبر مظاهر الدينونة، ورحمة الرب، وحكمه بالعدل. فإنه لم يقض على العباد إلا بعد إرسال الرسل. وكذلك في القيامة يقضي عليهم بشهادة رسلهم. فبعثة الرسول دينونة في الدنيا وقيامة صغرى. فإنه عند ذلك فريق

ينجو، وفريق يهلك، وينقطع عذرهم عند الدينونة الكبرى، كما قال تعالى:

﴿رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ [سورة النساء/١٦٥]. وهذا مبسوط في موضعه.

فعلى هذا الأصل استدل بالوقائع الماضية على كلا الأمرين. أعني أن الدين لابد واقع، وأن هذه البعثة جاءت حسب سنة الله تعالى وجريانها بالعدل، وحسب قضائه فيما تقدم من حكمه الحكيم العادل.

ذلك إجمال القول في العمود الذي أقسم عليه. ويتضح لك ما ذكرنا مما يتلو إلى آخر الفصول.

(٢)

تفسير الكلم وتأويل الجمل في الآيات: (١-٣)

(التين والزيتون) انظر الفصل التالي.

(أحسن تقويم) قَوَّم الشئ: جعله مستقيما. قومت الرمح فاستقام. ومن ههنا يراد به جعل الشئ مناسبا لغايته، فهذا تقويم معنوي، فهو مثل التسوية. وكل خلق تسوية. قال تعالى: ﴿الذي خلق فسوى﴾ [سورة الأعلى/٢]. فلم يخلق الله تعالى خلقا إلا بغاية، فجعل خلقه مناسبا لتلك الغاية. فعلى هذا إذ خص الإنسان بأحسن تقويم كان المراد منه: خلقه مناسبا لأحسن غاية. وذلك بأن سواه على تركيب صالح، لأن ينفخ فيه روحه.

(رددناه) الرد يأتي على وجوه. ومنها الإعادة إلى الحالة الأولى، كما قال تعالى: ﴿لو يردونكم بعد إيمانكم كفارا﴾ [سورة البقرة/١٠٩]. أي

يصيرونكم بعد إيمانكم كفارا مرة أخرى. وهذا قريب من أصل المعنى، وهو كما قال تعالى: ﴿يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين﴾ [سورة آل عمران/١٤٩].

(أسفل سافلين) "أسفل" إما هو حال عن ضمير المفعول في (رددناه)، أو ظرف. وعلى هذا يكون المعنى: إنا صيرناه مرة أخرى في مقام أسفل، كما ترى في قوله تعالى: ﴿إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم﴾ [سورة الأنفال/٤٢] أي بمقام أسفل. ولا فرق بين التأويلين من جهة المعنى.

وأما التأليف فزعموا أنه على الإضافة [١]، ولكنه يخالف العربية. فإن إضافة "أفعل" إذا كانت إلى نكرة فلابد أن يكون المضاف إليه مفردا، كما قال تعالى: ﴿ولا تكونوا أول كافر به﴾ [سورة البقرة/٤١]. فالظاهر أن "سافلين" حال مستقل سواء كان "أسفل" ظرفا أو حالا، ولذلك جاء نكرة مع كونه جمعا. وهذا أقرب أيضا من جهة التأويل. فإن موقع هذا الحال يدل على أن الإنسان نفسه اختار السفل. فكأنه قيل: ثم رددنا الإنسان إلى مقام أسفل، والحال أنهم كانوا ذاهبين بأنفسهم إلى الأسفل.

وأما مجئ الجمع بعد إفراد الضمير في قوله تعالى: "رددناه" فلأن المراد بالإنسان نوعه، فجاء بالجمع رعاية للمعنى، وهذا كثير. ومنه قوله تعالى: ﴿متاعا لكم و لأنعامكم﴾ [سورة عبس/٣٢] بعد قوله تعالى: ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه﴾ [سورة عبس/٢٤]، وقوله تعالى: ﴿أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور إن ربهم بهم يومئذ لخبير﴾

---

[١] انظر الطبري ٣٠: ١٥٨.

[سورة العاديات/٩-١١].

وسنرجع إلى بيان تأويل "أسفل سافلين" في الفصل الحادي عشر.

(إلا) أولوها إلى وجهين: الاستثناء المتصل، أو الاستدراك. والثاني هو الظاهر، لما أردفها بالجزاء، كما في قوله تعالى: ﴿فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر، إلا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الأكبر﴾ [سورة الغاشية/٢١-٢٤]، وكما في قوله تعالى: ﴿وحفظناها من كل شيطان رجيم، إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين﴾ [سورة الحجر/١٧-١٨]. وسيأتيك بيان الفرق بين التأويلين في الفصل الحادي عشر.

(ممنون) من "منّ": إذا قطع. قال لبيد:

غبس، كواسب، لا يمن طعامها[١]

(غير ممنون) أي دائم[٢]، كما قال تعالى: ﴿لا مقطوعة ولا ممنوعة﴾ [سورة الواقعة/٣٣]. وأيضا: ﴿عطاءً غير مجذوذ﴾ [سورة هود/١٠٨]

وليس من المنة، فإنه لا نظير لذلك المعنى في القرآن وكيف تنفي المنة، فإن كل أجر من الله فضل ومنة منه.

﴿فما يكذبك بعد بالدين﴾ كذب بالشيء: ضد صدق به. وقد جاء

---

[١] صدر البيت:

لمعفر ، فهد ، تناع شلوه

انظر جمهرة أشعار العرب وشروح المعلقات

[٢] نقل الإمام الرازي فيه قولين: "(أحدهما) غير منقوص ولا مقطوع (وثانيهما) أجر غير ممنون أي يمن به عليهم" التفسير الكبير ٣٢: ١١ .

في انقرآن كثيرا، مثلا: ﴿أ رأيت الذي يكذب بالدين﴾ [سورة الماعون/١]، و﴿كلا بل تكذبون بالدين﴾ [سورة الانفطار/٩]، و﴿وكذبوا بلقاء الآخرة﴾ [سورة المؤمنون/٣٣].

أما كذبه به، فجاء أيضا. قال تعالى: ﴿فقد كذبوكم بما تقولون﴾ [سورة الفرقان/١٩]، أي فيما تقولون.

وفي كل ذلك نسب التكذيب إلى الرجال. وأما ههنا فنسب إلى غير ذوي العقول.

١- فإما أن يكون من قبيل نسبة الشهادة والنطق إلى الأشياء، كما قال تعالى: ﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق﴾ [سورة الجاثية/٢٩]. وعلى هذا كان المعنى: فأي شئ بعد هذه الشهادات يشهد بأنك كاذب في قولك بوقوع الدين.٧

٢- وإما أن يكون التكذيب بمعنى: الحمل على التكذيب، كما ذهب إليه الزمخشري[1]. ولم أجد لهذا المعنى شاهدا في القرآن، ولا في كلام العرب. ولو ثبت لكان تأويلا واضحا.

٣- وإما أن يكون بمعنى إلقاء الأماني والظنون: كما قال أفنون، وهو جاهلي:

ولا خير فيما كذب المرء نفسه   وتقوا له للشئ يا ليت ذاليا[2]

---

[1] هذا سهو من المؤلف رحمه الله. وإنما ذهب إلى هذا المعنى وصرح به أبو جعفر النحاس في إعراب القرآن ٣: ٧٣٦ وأبو حيان الأندلسي في البحر المحيط ٨: ٤٩٠، وانظر القرطبي ٢٠: ١١٦. أما الزمخشري فلم يخالفهم في معنى الآية، ولكنه سلك مسلكا آخر للوصول إليه، لا يقل غرابة عن الأول.

[2] المفضليات: ٢٦١.

أي لا خير فيما يحدث المرء نفسه من الأماني والآمال الكاذبة.

وقال عبيد بن الأبرص:

والمرء ما عاش في تكذيب   طول الحياة له تعذيب[1]

أي ما عاش في محض الأماني غير فائز بما يتمناه، فطول الحياة عذاب عليه

فهذه ثلاثة معان للتكذيب إذا كان متعديا. وأما بيان ما يكون التأويل ههنا فسيأتيك في الفصل الثاني عشر إن شاء الله تعالى.

(الدين) الدين هو الجزاء والدينونة. من قولهم: دناهم كما دانوا.

وقولهم: "كما تدين تدان" وقد جاء في القرآن كثيرا، وقد مر آنفا بعض الشواهد.

(٣)

تعيين المراد بما أقسم به من المواضع

لا يخفى عليك أن المقسم به إنما ينظر إليه من جهة كونه دليلا وشاهدا وآية على ما أقسم عليه. وقد مر أن المقسم عليه هو أمر الدينونة، فلا بد من اشتراك هذه الأسماء في هذه الجهة. وستعلم في الفصول التالية ما وقع من الدينونة على هذه المواضع.

١- وذلك يدل على أن المراد بالتين والزيتون موضعان، ليس إلا.

٢- وأيضا قرن التين والزيتون بطور سينين والبلد الأمين، فدل

---

[1] ديوانه: ١٥ وجمهرة أشعار العرب: ٤٦٤ .

بالنظم على كونهما اسمين لموضعين.

٣- وأيضا لا يخفى عليك أنه كان من عادة العرب التذكر برؤية الديار وآثارها. وكثر ذلك في كلامهم جدا. فذكر المواضع للتنبيه على ما وقع فيها هو أقرب إلى أذهانهم وأوقع في نفوسهم. وعلى هذا كثر في القرآن التذكير بذكر البلاد، كما قال تعالى: ﴿ذلك من أنباء القرى نقصه عليك﴾ [هود/١٠٠].

٤- وأيضا في التوراة ما يطابق هذا التأويل. وسيأتيك بيانه في الفصل التاسع.

وعلى هذا لا نغير معنى التين والزيتون. وإنما نأخذ بعض وجوه معنى واحد حسب سنة الكلام، كما ستعرف. وبذلك يرفع الاختلاف من بين قولين لعكرمة رضي الله عنه حيث قال مرة: "تينكم وزيتونكم"[1]، ومرة: "هما جبلان"[2]

هذا، والآن نذكر ما هو المراد بهذه الأسماء.

فأما "التين" فالمراد به موضع خاص عرفته العرب بهذا الاسم، لكونه منبت التين[3]. والعرب يسمون الموضع باسم ما ينبت فيه كالغضى[4]،

---

[1] الطبري ٣٠: ١٥٣ .

[2] المرجع السابق ٣٠: ١٥٤ .

[3] انظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ٥٣٢ (تحقيق سيد أحمد صقر ، القاهرة ١٣٧٨هـ/١٩٥٨).والكشاف ٤:

[4] قال ياقوت: "الغضى أرض في ديار بني كلاب كانت بها وقعة لهم ، والغضى: واد بنجد. قال مالك بن الريب:

والشجرة[1]، والنخلة[2]. وليس ذلك خروجا عن أصل معنى الكلمة، وإنما هو استعمالها في بعض وجوهها بطريق تسمية الظرف بالمظروف. قال النابغة الذبياني من بني غطفان:

وهبت الريح من تلقاء ذي أرل ... تزجي مع الليل من صرادها صرما

صهب الظلال أتين التين عن عرض ... يزجين غيما قليلا ماؤه شبما[3]

أراد بالتين جبلا في الشمال، قال الأولون: هو بين حلوان وهمدان[4]. وأما اختلافهم من أبي حنيفة الدينورى مستدلا بأن ذلك الموضع بعيد من بلاد غطفان فلا يلتفت إليه. فإن الشعراء ربما يذكرون ما بعد عن بلادهم جدا.

وهذا النابغة نفسه ذكر كابل، وسد ياجوج، وتدمر، فهل هذه في بلاد غطفان ؟ وجبل التين على قول الأولين ليس بهذا البعد. فإنما هو على جانب من العراق. وهم يذكرون الفرات، ودجلة، وخابور، والخورنق، والسدير.

واد بنجد. قال مالك بن الريب:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بجنب الغضى أزجي القلاص النواجيا

لقد كان في أهل الغضى لودنا الغضى ... مزار و لكن الغضى ليس دانيا

[1] الشجرة: اسم قرية بفلسطين. انظر معجم البلدان ٣: ٣٢٥ .

[2] النخل والنخيل ، والنخلة ، والنخيلة: أسماء لعدة مواضع .

[3] ديوانه: ٦٣ ، وانظر اللسان (أرل ، صرم ، تين)

[4] انظر معاني القرآن للفراء ٣: ٢٧٦ ، ومعجم البلدان ٢: ٦٩ ، واللسان (تين) .

ولعل أبا حنيفة أخطأ معنى قوله: "أتين التين" وظن أن النابغة أراد به الإتيان إلى بلاده. وإنما هو أراد المرور، فإنه يصف الريح الباردة الشمالية التي تزجي السحب الصهب القليلة الماء التي مرت بجانب جبل التين، فازدادت به برودة. والعرب تذكر كثيرا هبوب الريح الباردة من جانب الشمال. وهكذا يذكرون "الجودي" بالبرودة.

قال أبو صعترة البولاني، وهو جاهلي:

فما نطفة من حب مزن تفاذقت ... به جنبتا الجودي والليل دامس

فلما أقرته اللصاب تنفست ... شمال لأعلى مائه فهو قارس [1]

فلا شك أن النابغة أراد بالتين جبلا في الشمال، ولعله هو الجودي أو قريب منه.

وكما أخطأ الدينوري في بيت النابغة، فكذلك أخطأ صاحب معجم البلدان في بيت أبي صعترة، فقال: إنه أراد بالجودي موضعا في اليمن [2]، فظن أن الشاعر لا يذكر إلا بلاده. وقد مر آنفا أن ذلك ظن باطل. ولم يثبت أحد أن الجودي جبل في اليمن. وإنما الجودي هو الذي ذكرنا.

ويؤيد ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تأويل هذه الآية، فقال: إن المراد به "مسجد نوح عليه السلام الذي بني على الجودي" [3].

---

[1] شرح الحماسة للمرزوقي: ١٢٨١ .

[2] وقوله: "في اليمن" سهو ، وإنما قال يا قوت: "والجودى أيضا جبل بأجأ أحد جبال طئ ، وإياه أراد أبو صعتره". وذلك لأن الشاعر طائي .

[3] تفسير الطبري ٣٠: ١٥٤ .

وعن عكرمة "والتين والزيتون قال هما جبلان" [1]. وعلى هذا يتبين أن التين إما هو الجودي أو قريب منه.

وفي التوراة أن بني آدم تفرقوا بعد نوح عليه السلام [2]. والقرآن يدل على كونه قريبا من الجودي. فيستدل بذلك على أن التين كان مسكن آدم وذريته. ويؤيده أيضا ما جاء في التوراة من أن آدم عليه السلام كان يخصف عليه من ورق التين [3].

هذا، وأما الزيتون فأيضا أطلق اسمه على منبته حسب سنة العربية كما مر آنفا. ولا يخفى أن المراد: جبل الزيتون الذي كثر ذكر تضرعات المسيح عليه السلام لوقا: (٢١: ٣٧):

"وكان في النهار يعلم في الهيكل وفي الليل يخرج ويبيت في الجبل الذي يدعى جبل الزيتون".

وسيأتيك تفصيل ذلك في الفصل السادس. ويوافق ذلك أقوال السلف منا، فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه، وعن كعب أن الزيتون بيت المقدس. وعن قتادة: أنه الجبل الذي عليه بيت المقدس [4].

وأما "طور سينين" فمعروف. ولكن صورة الكلمة تستدعي بيانا. فاعلم أن القرآن ذكره في موضع آخر باسم (طور سيناء)[5]. فمرة أتى بها

---

[1] المرجع السابق .

[2] انظر سفر التكوين ٩: ٧ ، ١٩ و١٠: ٣٢ .

[3] التكوين ٣: ٧ .

[4] الطبري ٣٠: ١٥٣-١٥٤ .

[5] انظر سورة المؤمنون: ٢٠ .

على التأنيث، ومرة على جمع السلامة. فدل على أن التأنيث إما هو لكونه وصفا للجمع، كما تقول: جمعاء وأجمعون. وفي التوراة جاء "سيناء" و"سينيم". وفي العبرانية "يم" علامة الجمع. وقال بعض علماء أهل الكتاب أن "سينيم" إسم أرض الصين، بدليل أنه اسم أرض بعيدة عن فلسطين. وهذا الدليل كما ترى.

وأما "البلد الأمين" فلا حاجة إلى بيانه. وإنما لم يقل "مكة"، ليكون أوضح في الدلالة على وجه الاستشهاد، كما سيأتيك ذكره في الفصل الثامن إن شاء الله تعالى.

(٤)

الأصل الكلي في وجوه الاستشهاد بهذه البقاع الأربع

قد مر أن المقسم به في الاستشهاد لا ينظر إليه إلا من جهة ما يكون آية وشهادة على المقسم عليه. وقد علمت مجملا أن المقسم عليه في هذه السورة هو أمر الدينونة. فالآن ننظر إلى هذه البقاع من هذه الجهة، لا غير.

واعلم أن الشئ الواحد ربما يستشهد به من وجوه كثيرة، فلا حاجة إلى حصر الوجوه. وقد جاء في القرآن الاستشهاد بشئ واحد من جهات شتى، مثلا استشهد بالمطر من جهة على الربوبية، ومن جهة أخرى على البعث بعد الموت. وربما يصرح بكثرة الوجوه، كما قال تعالى: ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات﴾ [سورة يونس/٦٧]، فجعل فيها آيات لا آية واحدة. وكذلك قال تعالى: ﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات﴾ [سورة

آل عمران/١٩٠]، وقال تعالى: ﴿وفي الأرض آيات للموقنين. وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ [سورة الذاريات/٢٠-٢١]. وهذا كثير وظاهر. ومع ذلك إذا أقسم بشئ على أمر فعند ذلك لا يؤخذ من جهات المقسم به إلا ما كان شاهدا على المقسم عليه.

وبعد ما تبينت هذا الأصل فاعلم أن هذه البقاع الأربع مواضع لظهور الدينونة الدالة على أن الرب تعالى يدين الإنسان بالرحمة، والعدل، حسب أعماله. فهذا هو الأصل الكلي في النظر في وجوه الاستشهاد بهذه البقاع. وأما تفصيل ذلك فنذكره في الفصول الآتية.

(٥)

وجه الاستشهاد على الدينونة بالتين

اعلم أن "التين" هو أول موضع لظهور الدينونة على الإنسان. وذلك بأن آدم عليه السلام لما نسي عهد الرب وسمع لقول حاسده وقعت عليه وعلى زوجه الدينونة. فأهبطا بعد الرفعة وسلبا لباس الجنة، كما قال تعالى: ﴿فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ [سورة الأعراف/٢٢]. وجعل الله تعالى ذلك الأمر تذكارا وموعظة لنسله، فقال تعالى: ﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما﴾ [سورة الأعراف/٢٧]. وقد صرح في التوراة بأن الشجرة التي خصفا عليهما من ورقها كانت شجرة التين[1]. ثم عند ذلك تابا إلى الرب. وتاب الرب عليهما، ووعد بإنزال هداه وأجر من تبعه من ذريته. فأعطاه

---

١ انظر سفر التكوين ٣: ٧

عهدا ثانيا. فواقعة التين جمعت السلب والعطاء. الأول لنسيانه العهد الأول، والثاني لإنابته إلى الرب.

وكذلك وقعت الدينونة على نسله في عهد نوح عليه السلام عند جبل التين، فأهلك الظالمون وبورك الباقون، كما قال تعالى: ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك و يا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين﴾ [سورة هود/٤٤].

ثم بعد ذكر دعاء نوح عليه السلام قال تعالى: ﴿قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم﴾ [سورة هود/٤٨]

أي جعلنا السلام والبركات لك وللمؤمنين معك، وأما الآخرون فلهم أيضا متاع من الدنيا قليل ثم عذاب أليم.

فصار التين آية وتذكرة لما وقع على الإنسان من الدينونة وقضاء الرب تعالى. وذكرها باسم التين بدل "السعير" أحسن، لما هو أوضح دلالة على واقعة هي أقدم وأوسع من واقعة الطوفان. ثم في هذا الاسم دلالة أخرى. وسيأتيك ذكرها.

(٦)
وجه الاستشهاد على الدينونة بالزيتون

اعلم أن الزيتون قد وقعت عليه الدينونة العظمى من سلب الأمانة والناموس من اليهود، وإعطائها لدوحة أخرى من شجرة إبراهيم عليه السلام إذ وقع ما وقع في آخر عهد المسيح عليه السلام في ليلة سهرها على جبل الزيتون، وقد ناجى الرب إلى السحر، ويئس من قومه فحزن غاية الحزن، لما علم أن

اليهود يهمون بقتله. وبذلك يلعنون ويسلبون الأمانة، فتعطى لأمة جديرة بها، كما صرح به المسيح عليه السلام حيث قال:

"أما قرأتم قط في الكتب. الحجر الذي رفضه البناؤن هو قد صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا"[1].

قوله: "الحجر" إلى قوله: "في أعيننا" منقول من مزمور: (١١٨: ٢٢-٢٣). ثم فسر المسيح عليه السلام ذلك، فقال: "لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره. ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه"[2].

فهذا نزع ملكوت الله وقع على جبل الزيتون. ويتبين ما ذكرنا مما جاء في الأناجيل. ففي الإنجيل المنحول إلى لوقا: (٢٢: ٣٩-٥٢):

"[39] وخرج ومضى كالعادة إلى جبل الزيتون وتبعه أيضا تلاميذه. [40] ولما صار إلى المكان قال لهم صلوا لكيلا تدخلوا في الفتنة (أي الفتنة العظمى التي تأخذ اليهود عن قريب فيلعنون بها، كما جاء في القرآن ﴿وحسبوا أن لا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم﴾ [سورة المائدة/٧١]. فلما بلغوا المنتهى حقت عليهم كلمة اللعنة والطرد [41] وانفصل عنهم نحو رَمْيَةِ حجر وجثا على ركبتيه وصلى. [42] قائلا يا رب إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس. ولكن لتكن لا مشيئتي بل مشيئتك. [43] وظهر ملك من السماء يقويه. [44] وإذ كان في جهاد كان يصلي بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض. [45] ثم قام من الصلاة

---

[1] انجيل متى ٢١: ٤٢ .

[2] انجيل متى ٢١: ٤٣-٤٤ .

وجاء إلى تلاميذه فوجدهم نياما من الحزن.٤٦ فقال لهم لماذا أنتم نيام. قوموا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة.

٤٧ وبينما هو يتكلم إذا جمع والذي يدعى يهوذا واحدا من الاثني عشر يتقدمهم فدنا من يسوع ليقبله.٤٨ فقال له يسوع يا يهوذا أ بقبلة تُسلِّم ابن الإنسان.٤٩ فلما رأى الذين حوله ما يكون قالوا يا رب أنضرب بالسيف.٥٠ وضرب واحد منهم عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى.٥١ فأجاب يسوع وقال دعوا إلى هذا، ولمس أذنه وأبرأها.

٥٢ ثم قال يسوع لرؤساء الكهنة وقواد جند الهيكل والشيوخ المقبلين عليه ''كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصي''.

ولهذه الواقعة العظيمة ذكر في "مرقس" و"متى"، وفي البعض ما لم يذكر في الآخر.فنجمع لك ما يتم به أطراف هذه القصة، ولا تملن إطناب الكلام، فإن الواقعة مهمة جدا. ففي مرقس (١٤: ٣٣-٤١):

'' ٣٣ ثم أخذ معه بطرس (أي شمعون الصفا) ويعقوب ويوحنا وابتدأ يدهش ويكتئب.٣٤ فقال لهم نفسي حزينة جدا حتى الموت. امكثوا ههنا واسهروا. ٣٥ ثم تقدم قليلا وخر على الأرض وكان يصلي لكي تعبر عنه الساعة إن أمكن.٣٦ وقال يا أبا الأب كل شئ مستطاع لك فأجز عنى هذه الكأس. ولكن ليكن لا مشيئتي بل مشيئتك. ٣٧ ثم جاء ووجدهم نياما فقال لبطرس يا سمعان أنت نائم. أما قدرت أن تسهر ساعة واحدة. ٣٨ اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة. أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف.٣٩ ومضى أيضا وصلى قائلا ذلك الكلام بعينه.٤٠ ثم رجع ووجدهم أيضا نياما إذ كانت أعينهم ثقيلة فلم يعلموا بماذا يجيبونه (أي على توبيخه إياهم).٤١ ثم جاء ثالثة وقال لهم ناموا الآن واستريحوا (أي

قد حُمَّ الأمر ووقعت على اليهود سيآت ما كسبوا وأنا لم آل جهداً في دعائي لهم، كما بينه فقال:) يكفي. قد أتت الساعة.''

والباقي يشبه بما قد مر. وفي متى (٢٦: ٣٦-٤٥) ما يشبه ذلك غير أن فيه:

''ثم تقدم قليلا وخر على وجهه وكان يصلي ...'' فصرح بالسجود. وفي لوقا اكتفى بذكر الركوع فقط. وأما في يوحنا فلم يذكر صلاة المسيح عليه السلام ولكن ذكر في هذا الموقع من كلامه عليه السلام ما لم يذكره غيره، مع زيادات من الكذب. فنذكر منه ما يدل على كون هذا الكلام عند تلك الحادثة، وعلى الطرف الآخر من قضاء الله على قوم اليهود. وهو طرف الرحمة من الدينونة، وادخرها الرب لمن يؤمنون في الآخر حين تلين قلوبهم كما كثر ذكره في التوراة. وصرح به القرآن في سورة الأعراف، وهو قوله تعالى:

﴿قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون. الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾ [سورة الأعراف/١٥٦-١٥٧].

ففي يوحنا (١٢: ٢٣-٣٦):

'' ٢٣ وأما يسوع فأجابهما قائلا قد أتت الساعة ليرتفع ابن الإنسان.٢٤ الحق الحق أقول لكم إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وبقيت فهي تبقي وحدها. ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثيرة.٢٥ من

يحب نفسه يضيعها ومن يهين نفسه في هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية.[٢٦] إن كان أحد يخدمني فليتبعني. وحيث أكون أنا هناك أيضا يكون خادمي. وإن كان أحد يخدمني يكرمه الرب.[٢٧] الآن نفسي قد اضطربت. وماذا أقول...''

(كان اضطرابه لأمرين: شقوة اليهود به، وإهانته بأيديهم. والأول قد علم أنه لابد واقع، والثاني كان لأمرين: خوف ذلة الحق أمام الباطل، وخوف فتنة الناس بذلك، كما جاء في القرآن في ذكر دعاء المؤمنين عند خوف غلبة الباطل: ﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين﴾. أيضا: ﴿ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير، ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا﴾ [سورة الممتحنة/٤-٥] كما يبين ذلك ما يتلو فقال:

''أيها الرب نجني من هذه الساعة. ولكن لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة.[٢٨] أيها الرب مجد اسمك. فجاء صوت من السماء مجّدت وأمجد أيضا.[٢٩] فالجمع الذي كان واقفا وسمع قال قد حدث رعد. وآخرون قالوا قد كلمه ملاك.[٣٠] أجاب يسوع وقال ليس من أجلي صار هذا الصوت بل من أجلكم. (أي يرفعني ربي ولا تصل إلى أيدي الظالمين، لكي تحفظوا عن الفتنة)[٣١] الآن دينونة هذا العالم. الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجا. (المراد بالعالم ههنا اليهود. والمراد بطرح رئيسهم طرح أتباعه معه. وقوله: "خارجا" أي عن منصب حمل الشريعة، فإنهم هناك طردوا عن القيام أمام الرب)[٣٢] وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إلى الجمع[٣٣] قال هذا مشيراً إلى أية ميتته كان مزمعا أن يموت (هذه زيادة من الرواة وهي باطلة. فإن المسيح إنما قال: "إن ارتفعت" و لم يقل: إن مت. وكذلك في سائر أقواله). [٣٤] فأجابه الجمع نحن سمعنا من الناموس

أن المسيح يبقي إلى الأبد. فكيف تقول أنت إنه ينبغي أن يرتفع ابن الإنسان. من هو هذا ابن الإنسان.[٣٥] فقال لهم يسوع النور معكم زمانا قليلا بعد.(هذا يشير إلى ذهاب كتاب الله من عندهم بعد زمان حتى جاء ذاك النور مع النبي الذي بشر به المسيح عليه السلام. وإلى هذا يشير ما جاء فيما مر آنفا من سورة الأعراف، وهو قوله تعالى: ﴿واتبعوا النور الذي أنزل معه﴾ [الآية/١٥٧] فارجع إليه) فسيروا مادام لكم النور لئلا يدرككم الظلام. والذي يسير في الظلام لا يعلم إلى أين يذهب.[٣٦] مادام لكم النور آمنوا بالنور لتصيروا أبناء النور. تكلم يسوع بهذا ثم مضى واختفى عنهم''.

هذا أصح وجه للقصة، ولم يذكره غير يوحنا. وهو صريح في أن المسيح غاب عن الناس ولم تقع عليه أيدي اليهود. وأرى أن اختفاءه كان آخر القصة. ولكن اختلطت الروايات، وقدموا وأخروا من غير علم. أيضا: (١٦: ٥-١٣):

''[٥]وأما الآن فأنا ماض إلى الذي أرسلني وليس أحد منكم يسألني أين تمضي.[٦] لكن لأني قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم.[٧] لكني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن انطلق لأنه إن لم انطلق لا يأتيكم الفار قليط ولكن إن ذهبت أرسله إليكم.[٨] ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة.[٩] أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بي[١٠] وأما على بر فلأني ذاهب إلى ربى ولا ترونني أيضا[١١] وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين.''

(أي يفحم اليهود بثلاثة أمور: عدم إيمانهم بالمسيح الذي جاء مصدقا للتوراة، وطهارته وبراءته منهم، وخذلانهم الذي عبر عنه بقوله: ''الآن دينونة هذا العالم. الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجا'' كما مر تأويله آنفا)

"[١٢] إن لي أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. [١٣] وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية".

(أيضا ١٦: ٢٠-٢١):

"[٢٠] الحق الحق أقول لكم إنكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح. أنتم ستحزنون ولكن حزنكم يتحول إلى فرح [٢١] المرأة وهي تلد تحزن لأن ساعتها قد جاءت. ولكن متى ولدت الطفل لا تعود تذكر الشدة لسبب الفرح لأنه قد وُلد إنسانٌ في العالم".

فمثل زمان غيبته بزمان المخاض وزمان ظهور النبي الموعود بزمان الولادة.

أيضا (١٦: ٣٢).

"هو ذا تأتي ساعة وقد أتت الآن تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته وتتركونني وحدي. وأنا لست وحدي لأن الرب معي".

بعد ذلك ذكر كلامه بالرب. ثم ذكر قصة هجوم الكهنة عليه، ودلالة يهودا مشابها لما في الأناجيل الأخر. ولا شك هذه زيادة غير صحيحة بعد ما قال: "إنه مضى واختفى عنهم".

ومما ذكرنا يتبين للمتأمل ما وقع من الدينونة العظمى على بقعة الزيتون. طرد قوم ودعي قوم، ثم يدعى التائبون من الأول. فكان اختلاط الرحمة والنقمة، والنور والظلمة. وعند ذلك تسكب العبرات وتصعد الزفرات. وترى المسيح عليه السلام هناك كالشمع في آخر ذوبانه وشدة وهجانه، أفرغ جهده لقومه. ثم غمه اليأس، ثم سكنه الرجاء، فاضطرب تحت عواصف الهموم كالبحر المتلاطم.

ثم في الزيتون إلماع إلى دينونة أخرى مع نوح عليه السلام وسيأتيك ذكرها.

(٧)
وجه الاستشهاد على الدينونة بطور سينين

وأما طور سينين فلا يخفى أن الله تعالى أعطى عليه الأمانة أمة ضعيفة قد صبرت على ظلم أعداء الله. فأنجاها من أيديهم بيد قوية ورفع أمرها ودان عدوها. ثم أعطاها ناموسا ذا بأس شديد على الظالمين الكافرين. فكان هذا العطاء العظيم رحمة على الضعفاء وانتقاما من الأقوياء. وكان أيضا أجرا للعابدين وجزاء للكافرين.

وهذا يتبين لك مما جاء في القرآن والصحف الأولى، ففي القرآن في ذكر فرعون وقومه: ﴿فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين. فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقنا أجمعين. فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين﴾ [سورة الزخرف/٥٤-٥٦]. وأيضا: ﴿وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون﴾ [سورة الأعراف/١٣٧] وأيضا: ﴿إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين. ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين. ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾ [سورة القصص/٤-٦].

وأما الصحف فقد صرحت بأن الله تعالى رحم على بني إسرائيل

ليدين به الكفار وليتم به ما وعد آبائهم الصالحين من البركة والنعمة. ففي سفر التثنية (٧: ٧-١٠):

" ٧ ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق الرب بكم واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب. ٨ بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذي أقسم لآبائكم، أخرجكم الرب بيد شديدة وفداكم من بيت العبودية من يد فرعون ملك مصر. ٩ فاعلم أن الرب إلهك هو الله الإله الأمين الحافظ العهد والإحسان للذين يحبونه ويحفظون وصاياه إلى ألف جيل. ١٠ والمجازي الذين يبغضونه بوجوههم ليهلكهم لا يمهل من يبغضه. بوجهه يجازيه"

وأيضا (٩: ٥-٧):

" ٥ ليس لأجل برك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم بل لأجل إثم أولئك الشعوب يطردهم الرب إلهك من أمامك ولكي يفي بالكلام الذي أقسم الرب عليه لآبائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب. ٦ فاعلم أنه ليس لأجل برك يعطيك الرب إلهك هذه الأرض الجيدة لتمتلكها لأنك شعب صلب الرقبة. ٧ اذكر لا تنس كيف أسخطت الرب إلهك في البرية. من اليوم الذي خرجت فيه من أرض مصر حتى أتيتم إلى هذا المكان كنتم تقاومون الرب".

ثم ذكر اتخاذهم العجل حين ذهب عنهم موسى، وصعد إلى طور سيناء لأخذ لوحي العهد.

فمما ذكرنا يتبين أن الله تعالى دعا موسى عليه السلام إلى الطور لأجل إتمام النعمة على ذرية الصالحين ليمكن لهم في الأرض، ليكونوا شهداء لله بالدين الحق، وليهلك بهم المفسدين الكافرين. فكان ذلك دينونة رحمة ونقمة، وثواب وعذاب، ليعلموا أنه هو العزيز الرحيم الديان الحكيم.

(٨)

وجه الاستشهاد على الدينونة بهذا البلد الأمين

اعلم أن الدينونة التي وقعت في مكة كانت أوسع رحمة للناس، وباقية إلى القيامة. وبيان ذلك أن الله تعالى لما ابتلى إبراهيم عليه السلام بكلماته فأتمها، وبعهده فوفى، حتى قرب في آخر عمره بكره الوحيد البار السعيد إسماعيل عليه السلام فحينئذ باركه الرب وبشره بإسحاق عليه السلام، وأعطاه عهدين في ذريته منهما.

فأما عهده في إسحاق عليه السلام، فأتمه حين دعا موسى عليه السلام إلى الطور وأعطاه الكتاب المبين. ثم استمر على علات اليهود حتى امتلأت كأسهم حين هموا بقتل آخر أنبيائهم. فنزعه عنهم كما مر. وكان فيه دينونة مختصة بطائفة من بني آدم، وإلى زمان.

وأما عهده في إسماعيل عليه السلام فادخره ليتم به النعمة للصالحين والنقمة للجاحدين من الناس أجمعين. فجعله تمام الدينونة التشريعية حتى تأتي الدينونة الآخرة يوم القيامة يوم الفصل التام. ولابد للإتمام والإكمال أن يأتي في الآخر، ولكنه موعود ومنتظر من أول الأمر. وإلى هذا يشير كثير مما جاء في الصحف الأولى والقرآن، مثلا:

"الحجر الذي رفضه البناؤن هو قد صار رأس الزاوية.من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا ... ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه"[1]

وقد ضرب المسيح عليه السلام أمثالا كثيرة لهذه الدينونة المنتظرة، وسماها

---

١ إنجيل متى ٢١: ٤٢ و٤٤ .

"ملكوت الله"[1] وصرح بأن أهلها هم الآخرون الأولون. فقال في مثل الأكارين كما جاء في متى (٢٠: ١٦):

"هكذا يكون الآخرون أولين والأولون آخرين". وكذلك صرح بأن إتمام الحق والنور يكون عند ذاك، كما مر آنفا.

وإذ كان الأمر كذلك جعل مركز هذا العهد بلدا أمينا محفوظا عن الأعداء واختار له خير أمة ليكونوا شهداء الله على جميع أهل الأرض، وبعث فيه نبيا على كافة الناس وأتم به الشرائع والحكمة لكيلا يبقى للناس حجة بعد ذلك عند دينونة في القيامة. وبين القرآن هذه الأمور في مواضع، فمنها قوله تعالى: ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما، قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين. وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود. وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره إلى عذاب النار وبئس المصير. وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم. ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾ [سورة البقرة/١٢٥-١٢٩].

فأتم الله عهده بإبراهيم عليه السلام وجعله إماما للناس بما عهد إليه وإلى

[1] انظر إنجيل متى ٢١: ٤٣ .

إسماعيل عليه السلام سدانة بيته، وجعله مثابة للناس وأمنا. واستجاب دعاءه فبعث فيه رسولا. وكل ذلك لما وجده كاملا في العبودية. وفي التوراة أن الله وعده بأن يبارك به الأمم[1]. فوقع جميع هذه الأمور، وبقي هذا البلد مأمونا من عهد إبراهيم عليه السلام. والمخاطبون قد علموا ذلك. وقد شهدوا كيف أهلك الله أصحاب الفيل حين راموا كيدا خلاف هذا البلد.

هذا، وأما مركز عهده في ذرية إسحاق عليه السلام فدارت عليه وعلى أهله الدوائر. وصرح بذلك في الصحف كثيرا، وتجد ذكره في تفسير سورة الفيل. ولا يخفى ذلك على من نظر في الصحف الأولى. ومما ذكرنا تبين ما للدينونة التي وقعت في هذا البلد من السعة والحسنى، والحمد لله في الآخرة والأولى.

وجملة ما أوردنا في هذه الفصول أن الله تعالى ذكر هذه المواضع لكونها مشاهد لدينونة الإنسان في الدنيا وجزائه إياهم حسب أعمالهم، ليبين لهم أن ربهم لم يخلقهم سدى ولم يغفل عن أحوالهم. فأنزل إليهم الكتاب والذكرى، وأكثر لهم من النذر والبشرى، فهيأ لهم ما يهتدون به حسب ما أودع فطرتهم من الاستعداد للرقي إلى مدارج الكمال. وجعل ذلك دليلا على وقوع الدين في الآخرة، كما قدمنا ذكره في الفصل الأول.

(٩)
نظير ذلك في التوراة وتحقيق مقام سعير

قد جاء في التوراة ما هو في غاية المشابهة بأوائل هذه السورة.

[1] انظر التكوين ٢٢: ١٧-١٨ .

ونذكره لما فيه تصريح ببعض ما ذكرنا- سفر التثنية (٣٣: ١-٤):

"[1]وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته[2] فقال. جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من[3] جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهـم. فأحب الشعب (بعد ذكر ذلك التفت فخاطب الرب قائلا) جميع قديسيه في يدك وهم جالسون عند قدمك يتقبلون من أقوالك[4]. بناموس أوصانا موسى ميراثا لجماعة يعقوب".

وبعد ذلك دعا لقومه بالبركة. وكان ذلك آخر كلامه، ولا يخفى على المتدبر أن في تقديم هذه الجمل قبل البركة إشعارا بأن الله تعالى لم يزل يعطى البركة للذين أطاعوه ويتجلى لهم بمراحمه.فكذلك يبارك هذا الشعب إذا أطاعوه وتقبلوا ما أنزل إليهم من أحكام الرب ووصاياه.

وإذا تبين لك هذا استبان لك ما في هذا الكلام من المشابهة بما ذكرنا من التأويل، ومن أن المراد بهذه الأسماء هي مشاهد ظهور الرب بأفعاله سواء كانت هذه المواضع الأربع مطابقة بالأربع التي في هذه السورة كل المطابقة أو بعضها. والتأمل يهدى إلى المطابقة التامة. فإن المطابقة بين الثلاثة من هذه الأربع ظاهرة جدا. فإنه لا يخفى أن "سيناء" اسم آخر لطور سينين، و"فاران" اسم لجبال مكة باتفاق أهل العلم منا. وفي التوراة شواهد على ذلك، كما هو مبسوط في تفسير سورة الصافات و"ربوات القدس" عبارة عن جبال القدس التي كثر ذكرها في الأناجيل بجبل الزيتون فلم يبق إلا بيان المطابقة بين "التين" و"سعير". ونذكر لك ما يؤيد ذلك. والله أعلم.

قد مر في الفصل الثالث أن "التين" هو أول مسكن بني آدم وهو الجودي أو قريب منه. فالآن نقول أن "سعير" حسبما جاء في صحف

اليهود اسم لجبال "ادوم" التي نهى بنو إسرائيل عن تملكها، وهي بلاد فسيحة الأرجاء، كثيرة الملوك والقبائل[1] ويزعمون بأن "أدوم" سمى به عيص بن إسحاق، وأن معناه: الحمرة[2]، وأنه كان أحمر قويا شديد البطش، وأدوم وبنو أدوم هم أولاده سكان سعير[3].

وأما موضعه فالتبس عليهم مثل كثير من مواضع البلاد كما اعترف به علماؤهم، وذلك بأنهم جمعوا الروايات المتناقضة. فمع ظهور أنهم يجعلونه في جنوب الشام تراهم يذكرون أيضا ما يدل على كونه في الشمال والمشرق من بلادهم. ففي سفر العدد (٣٤: ٧):

"وهذا يكون لكم تَخْمُ الشمال. من البحر الكبير (أي بحر الروم) تَرْسُمون لكم إلى جبل هور".

وجبل هور في طرف أدُومَ، كما جاء في سفرا لعدد (٣٣: ٣٧):
"ونزلوا في جبل هور في طرف أرض أدوم".

ويتبين من هذا أن الخط الذي يمر من البحر الكبير إلى الشرق يبلغ أرض أدوم على جانب الشمال والشرق من أرض بني إسرائيل. وذلك يطابق بما ذكرنا من موضع التين. ويؤيد ذلك أمور:

الأول: إنهم يذكرون أن أدوم مأخذه "الأدمة" وذلك هو المأخذ لاسم آدم عليه السلام. فالأقرب أن أدوم سمي بهذا الاسم لما كان مسكن بني آدم.

---

[1] انظر سفر التكوين ٣٦: ٩-١٩ .

[2] انظر التكوين ٢٥: ٣٠ .

[3] التكوين ٣٦: ٨ .

والثاني: إنهم يذكرون أن أدوم هو اسم آخر لـ"سعير" في العبرانية، هو الطوفان. فالأقرب أن الجودي سمي بسعير وكان عنده مسكن بني آدم إلى أن تفرقوا بعد ما كثر أولاد نوح عليه السلام.

الثالث: إنا لا نجد في صحفهم أمرا عظيما وقع على موضع يزعمون أنه المراد باسم "سعير". فالأقرب ما ذكرنا من مطابقة "التين" "بسعير" و"أدوم". ذلك، والله أعلم.

(١٠)

نظرة في النظيرين من القرآن والتوراة من جهة النظم والبيان

بعد ظهور المطابقة بين النظيرين لعلك تسأل عن وجه الاختلاف بينهما في ترتيب هذه الأسماء. فاعلم أنه كثر في القرآن والتوراة ذكر الأمور أنفسها على أنحاء من الترتيب، ولكل وجه صحيح. والآن ندلك على وجه الترتيب ههنا حسبما يظهر. والله تعالى أعلم.

أما القرآن فروعي فيه ترتيب الزمان والمكان، وجمع المثل بالمثل. وذلك بأن قدم الدينونة الآدمية لتقدمها زمانا. ثم أردفها الدينونة المسيحية، لما بين آدم والمسيح عليه السلام من المماثلة، كما قال تعالى: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم﴾ [سورة آل عمران/٥٩].

وأيضا شجرة التين جعلت تذكرة للسلب والعطاء، فإنها تتعرى زمانا، ثم تلبس وتثمر. فصارت آية لما وقع على آدم وذريته، كما مر في الفصل الرابع. وكذلك المسيح عليه السلام ضرب شجرة التين في غير أوان ثمرها مثلا لذهابه وشقوة أمته به. وهذا يظهر للمتدبر مما جاء في متي: (٢١:

١٨-١٩)، ومرقس: (١١: ١١-١٩)، ولوقا: (١٣: ٦-٩). ثم جعلها مثلا، وهي مورقة لمجيئه وسعادة قومه، كما هو مصرح به في متي: (٣٤: ٣٢و٣٣)، ومرقس: (١٣: ٢٨-٢٩)، ولوقا: (٢١: ٢٩-٣١).

ثم ذكر الدينونة الموسوية، وأردفها الدينونة المحمدية، لما بين موسى ومحمد عليهما الصلوات من المماثلة، كما هو ظاهر. وكما قال تعالى: ﴿إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا﴾ [سورة المزمل/١٥] وكما جاء في البشارة المشهورة لنبينا ﷺ في سفر التثنية: (١٨: ١٨-١٩):

"[١٨] أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به. [١٩] ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه".

فانظر كيف راعى الترتيب الزماني بين آدم عليه السلام وموسى عليه السلام وأردفهما بمثليهما، فجعل النظم كالجمان المفصل.

ثم انظر كيف جعل هذه البقاع مع رعاية المناسبة المعنوية مرتبة حسب المكان. فإن التين أقصاها في الشمال والمشرق. ثم جبل الزيتون في الشام. ثم الطور في المغرب والجنوب. ثم مكة في أقصى الجنوب. وهكذا كان مسير إبراهيم عليه السلام في هجرته من ار والكد انيين إلى كنعان ومصر، حتى انتهى إلى مكة

وقد مر في الفصل الرابع أن موضع التين هو الذي وقعت عنده الدينونة في عهد نوح عليه السلام، وكذلك مكة موضع عهد الرب بإبراهيم عليه السلام الذي دعا أن يجعلها الرب بلدا أمينا. وذكرها ههنا بهذا الاسم يلمع إلى ذلك. فصارت الآية جامعة لما أظهر الرب من الدينونة في عهد آدم

ونوح وموسى وعيسى وإبراهيم ومحمد عليهم الصلاة والسلام. ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين﴾ [سورة آل عمران/٣٣] فخص هؤلاء بالذكر.

ولا يخفى ما في جمع التين بالزيتون، وطور سينين بالبلد الأمين أيضا من المناسبة الظاهرة جمعا وفرقا. وأيضا في قران التين بالزيتون مناسبة أخرى لطيفة، وذلك بأن في الزيتون أيضا إلماعا إلى بركات نوح عليه السلام. وبيان ذلك أن نوح عليه السلام بشر بنشف المياه بالزيتون، كما جاء في سفر التكوين: (٨: ١٠-١١):

"١٠ فلبث أيضا سبعة أيام أخر وعاد فأرسل الحمامة من الفلك. ١١
فأتت إليه الحمامة عند المساء وإذا ورقة زيتونة خضراء في فمها.
فعلم نوح أن المياه قد قلت عن الأرض. ومما ذكر تبين ما في هذا
الترتيب من المناسبة من وجوه كثيرة"

وأما التوراة فالمخاطبون بها البسطاء، فبالغ في التصريح فقال: "جاء الرب"[1]، وفي التصوير فقال: "أشرق وتلألأ"[2]. فعلى هذا الأصل ذكر الأقرب فالأقرب. فقدم طور سيناء، ثم تقدم خطوة فذكر سعير- موضع دينونة أمة نوح عليه السلام. ثم رجع فذكر من كان مثل موسى عليه السلام وكان ظهوره من فاران، وقد بشرهم به وعرفه لهم كل التعريف[3]. ثم مثل الأول تقدم خطوة فذكر من كان قبله آتيا من ربوات القدس.

١ انظر سفر التثنية ٣٣: ٢ .

٢ المرجع السابق .

٣ انظر سفر التثنية ٣٣: ٢-٣ .

وإذ كانوا "صلب الرقاب" راعى جانب التخويف، فذكر التين باسم "سعير" دلالة على موضع الطوفان. وكذلك ختم الذكر بقوله: "وعن يمينه نار شريعة لهم"[1]. فراعى في هذا الكلام أيضا وجه البلاغة حسب مقتضى الحال. ولكل حال مقال وتختلف الصور مع اتحاد المعنى. والله تعالى أعلم، وعلمه أحكم

(١١)

في تأويل المقسم عليه وهو قوله تعالى:

﴿لقد خلقنا الإنسان...غير ممنون﴾

قد سبق فيما مر أن المقسم عليه هو أمر الدينونة. وقد أقسم عليها في سور أخر وجعلها أكبر مطالبها. فلا نذكر ههنا إلا ما نحتاج إلى ذكره في هذه السورة.

فاعلم أن الله تعالى جعل الرحمة أصل كل ما يفعل بعباده. فأعطى الإنسان أولا أحسن تقويم. وهذه العطية تلزمها الدينونة كما وقعت، ولكنه تعالى مهد له منها سبيلا إلى رحمته هي أكبر وأتم. فالرحمة كما هي أصل الدينونة وبذرها، فكذلك هي فرعها وثمرها.

وعلى هذا الأصل ذكر في المقسم عليه ثلاث مراتب الإنسان: أولها ووسطها وآخرها. وأخبر عن عموم حاله من حيث نوعه، وجعل واقعة آدم عليه السلام مرآة لذلك.

وبيان هذا الإجمال أن الله تعالى خلق الإنسان في غاية الحسن من

١ سفر التثنية ٣٣: ٢ .

الخلقة على طريق مستقيم من الفطرة، حرا كاملا، ملهما بالخير والشر، مختارا في الإرادة والفعل، كما قال تعالى: ﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها﴾ [سورة الشمس/٧-٨] لكي يكبح جانب الفجور من نفسه ويختار جانب التقوى، فيطيع ربه بعد الحرية. وذلك أرفع منزلة من طاعة من فطر عليها وسخر لها. فذلك قوله تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ [الآية/٤].

فكون الإنسان في أحسن تقويم هو وضعه بين المتقابلين المتضادين من الميل إلى الخير والشر مع العلم بهما، والاختيار بينهما. وجعل حب الخير أصل فطرته. وذلك بأن تربية القوى وإبرازها وإكمالها منوط بالجهد والكدح. ولا بد للاختيار من هذه المشقة ليخلص النضار من الخبث، وهو المراد من التزكية والابتلاء. ولولا هذا الجهد والكد لما ترقى الإنسان إلى ذروة الكمال الذي أودع الله فطرته، وجعله بذلك أحسن خلقه علما وعملا وحكمة وزكاة.

وإذ من عليه ربه بالاختيار عامله معاملة الأحرار. فأخذ منه عهدا للطاعة، وبذلك صار موقعا للدينونة. فلما نسى العهد لقلة عزمه، كما قال تعالى: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما﴾ [سورة طه/١٥] تصدى للدينونة. فذلك قوله تعالى: ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾ [الآية/٥].

ولكنه تعالى إذ فتح له غرفة إلهام الفجور والتقوى تداركه بوحي التوبة، كما قال تعالى: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه﴾ [سورة البقرة/٣٧]. فنهض الإنسان بعد هبوطه أحسن مما كان، فاجتباه ربه، كما قال تعالى: ﴿وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾

[سورة طه/١٢١-١٢٢] وهذه دينونة ثانية. وكما أن الأولى لم تكن مختصة بآدم عليه السلام بل عمت ذريته، فكذلك جعل هذه الثانية عامة. فإن كل من تاب بعد الزلة يتوب الله عليه ويهديه، كما قال تعالى: ﴿قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [سورة البقرة/٣٨].

فكما عرض وحي التوبة على آدم عليه السلام فكذلك يعرضه على ذريته بواسطة الأنبياء. فمن تلقاه كان على سنة آدم عليه السلام و أوتي ما سلب بل ما هو خير وأبقى. فذلك قوله تعالى: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون﴾ [الآية/٦].

فهذه ثلاث مراتب في أحوال الإنسان. ويشبه هذه الآيات قوله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا (ظلوما من جهة العمل فاجترأ على أمر عظيم فظلم نفسه وأوردها مهالك، وجهولا من جهة العلم، فتجاسر على أمر لو تبينه وعلم كنهه لأشفق منه، ولكن لولا هما لما ترقى. فإن كل فوز في المخاطرة، كما ذكر نتيجة ذلك فقال تعالى: ﴿ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما﴾ [سورة الأحزاب/٧٢-٧٣].

فكان احتمال الإنسان الأمانة لكمال استعداده. وكان ظلمه وجهله لما انطوى هذا الاستعداد على الزلة، والعقبات، والنهوض، فيتوب الله على من انتعش بعد العثرة مثل آدم فيفوز بالاجتباء.

ومما ذكر تبين أن هذه الآيات الثلاث جامعة لتمام قصة الإنسان

ودينونته من أول خلقه إلى نهاية مبلغه، وناظرة إلى حالة آدم عليه السلام وهبوطه مع ذريته

وعلى هذا يفهم من: ﴿أسفل سافلين﴾ [الآية/٥] حالتهم حين رجعوا إلى هذه الدار الدنيا. وحينئذ حرف "إلا" للاستدراك. أي: ولكن المؤمنين يترقون بعد الهبوط، فيفوزون بأجر دائم.

وأما من فهم من ﴿أسفل سافلين﴾ حالة الكفار فقط جعل الاستثناء متصلا. أي بعد خلق الإنسان في أحسن تقويم رددناهم أسفل سافلين، غير الذين آمنوا وعملوا الصالحات. فهؤلاء لم يردوا من الحالة الأولى.

ولا يخفى أن هذا التأويل الأخير ضيق وبعيد، لكونه غير مطابق بعموم خلق الإنسان، ولا ناظر إلى قصة آدم عليه السلام وهبوطه مع ذريته. فإن الرد حينئذ يكون مخصوصا بالكفار.

وأما التأويل الأول فهو أوسع و أتم. ويؤيده ما ذكرنا من نظيره. فإن قوله تعالى: ﴿إنه كان ظلوما جهولا﴾ [سورة الأحزاب/٧٢] غير مختص بالكفار، ثم فرق بين الكافرين والمؤمنين.

واعلم أن كلا هذين التأويلين محتمل على فرض التأليف الإضافي في ﴿أسفل سافلين﴾. ولكن إن جعلت ﴿سافلين﴾ حالا وهو أحسن كان ﴿أسفل﴾ عاما، مشيرا إلى قصة آدم وهبوطه مع ذريته سواء جعلته ظرفا أو حالا. وعلى هذا الاستثناء منه.

وأما ﴿سافلين﴾ ففيه وجهان: الأول أن تجعله أيضا عاما. فإن الله تعالى لم يردهم إلى أسفل إلا بأن اختار الإنسان سفلا لنفسه. وعلى هذا تكون حرف "إلا" للاستدراك. أي لكن المؤمنين بعد أن كانوا سافلين

حين اهبطوا نهضوا وتابوا. فلهم أجر دائم. وهذا تأويل حسن راجح كما هو ظاهر.

والوجه الثاني أن تخرج المؤمنين من ﴿سافلين﴾ وعلى هذا يكون الاستثناء متصلا، أي المؤمنون مع الهبوط لم يكونوا سافلين. ولكنهم عرجوا من السفل إلى العلو. وأما الكافرون فبقوا فيما ردوا إليه، بل ازدادوا سفلا.

(١٢)

في تأويل قوله تعالى:

﴿فما يكذبك بعد بالدين. أليس الله بأحكم الحاكمين﴾

ذهبوا في تأويله إلى قولين:

الأول: فأي شئ يكذبك أيها الإنسان بالدين ؟ اختاره مجاهد. فإنه لما قيل له: عنى به النبي الكريم ﷺ، قال: معاذ الله. إنما عنى به الإنسان [1] واختاره الزمخشري [2]، ثم زعم أن ﴿يكذبك﴾ معناه: يحملك على التكذيب [3]. هذا تأويل حسن لو ثبت. ولعله أخذه من إنكار مجاهد، فإن التكذيب بهذا المعنى محال أن ينسب إلى النبي الكريم ﷺ. ولكنه لم يأت بشاهد على هذا المعنى.

والثاني: فما يكذبك أيها النبي الكريم ﷺ بعد ذلك بالدين ؟

---

[1] انظر الطبري ٣٠: ١٦٠ .

[2] انظر الكشاف ٤: ٢٢٣ .

[3] انظر حاشية الفصل الثاني.

وذهب إليه الفراء[1]، وهو مصيب في أنه لم يصرف الكلمة عن المعنى المتداول. ولكنه يبعد عن سياق الكلام وموقع الاستفهام، فإنه ليس في الكلام ما يناسبه خطاب النبي الكريم ﷺ بهذين الاستفهامين ولا التفريع بقوله تعالى: ﴿فما يكذبك﴾ ولا التأكيد بقوله تعالى: ﴿بعد﴾.

فالظاهر الأقرب من السياق وحسن النظم ما ذهب إليه مجاهد مع إبقاء معنى التكذيب على ما يوجد في كلام العرب. وعلى هذا يسوغ تأويلان:

الأول: فأي شهادة ودليل أيها الإنسان بعد هذه الشهادات يخالف قولك بوقوع الدين ويكذبك فيه. وعلى هذا يكون الخطاب بالإنسان عموما، فيكون تثبيتا لمن آمن بالدين وحثا لمن تردد فيه.

وعلى هذا يتبين اختيار كلمة "ما"، فإن الناس لم يزالوا يكذبون بالدين عنادا وتقليدا. وأما الدلائل والشهادات فليس فيها ما يكذب. فخاطب نفوسهم لينظروا إلى محض الدلائل فيعلموا أنه ليست فيها ما يكذبهم به.

والثاني: فأي شئ من الأماني والظنون يخالج صدرك في أمر الدين بعد أن دلت الوقائع والشواهد. وعلى هذا يكون وجه الخطاب إلى المنكرين خاصة. ولهذا الخطاب نظائر. ومنها قوله تعالى: ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم﴾ [سورة الانفطار/٦]. ويؤيده ما جاء من إظهارهم

---

[1] وهو يقول "فما الذي يكذبك بأن الناس يدانون بأعمالهم: كأنه قال: فمن يقدر على تكذيبك بالثواب والعقاب بعد ما تبين له من خلقنا الإنسان على ما وصفنا". معاني القرآن ٣: ٢٧٧ .

الظن في أمر الدينونة، كما أخبر الله تعالى عن قولهم: ﴿إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين﴾ [سورة الجاثية/٣٢].

وكلا التأويلين واضح حسن كما يظهر. والله تعالى أعلم وعلمه أحكم.

ومفاد الاستفهام الأول على كلا التأويلين أن يقر الإنسان بالدينونة ويترك ما يلقى إليه من الشبهات سواء كان من الناس أو من قبل نفسه بعد أن كثرت شواهدها وظهرت براهينها.

ومفاد الاستفهام الثاني أن يذعنوا بالدينونة، لكونها من صفات الرب تعالى. فكأنه قيل لهم أليس الله بأحكم الحاكمين، فكيف يمكن أن يترك الإنسان سدى غير مجزي خيارهم كأشرارهم، كما قال تعالى: ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون﴾ [سورة القلم/٣٥-٣٦].

(١٣)
في نظم السورة بما سبق وبما لحق
وفيه إثبات هذه البعثة

تضمنت السورتان السابقتان ما حمل النبي الكريم ﷺ من أعباء هذه البعثة العظمى التي أسس بنيانها بيد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام. وجعل لأجلها هذا البلد مأمونا من كيد الأعداء. ولذلك أسكن فيه إبراهيم ذريته. ومع أن الله تعالى أخر أمرها وغشى موضعها ظلمة إلى مدة، ما ودعهم وما قلاهم حتى أشرقه بنور أتم. فبعث فيه هذا النبي ليكمل مقصد بناء هذا البلد، وهو التوحيد الكامل والمواساة بالضعفاء.

والرب تعالى حكيم عليم بالمصالح وجعل لكل أمر أجلا مسمى.

فذكر في سورة التين كيف يدين الله الإنسان بالحكمة، ويقيم من بينهم أمة بعد أمة ويعطيهم الأمانة، ويرفع قوما ويضع قوما ليدينهم حسبما أوفوا بعهده وأمانته، كما قال تعالى: ﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم﴾ [سورة الأنعام/١٦٥].

فذكر في هذه السورة شواهد على ظهور بركات هذا البلد. وإن هذا مبني على سنة الله بالإنسان من أول أمره.

ومما ذكرنا تبين أن غاية هذه السورة إثبات هذه البعثة إثباتا مبينا، لكون الرب تعالى ديانا وأحكم الحاكمين، وإثباتا تاريخيا. كأن سلسلة وجدت كلها إلا الحلقة المتممة، أو كأن قصرا أتم بنيانه إلا اللبنة الأخيرة، كما بشربها المسيح عليه السلام وجاء في الحديث الصحيح وذكر مكة باسم "البلد الأمين" ليشير إلى دعاء إبراهيم عليه السلام حين دعا لهذه البعثة ولأمة مسلمة تقوم بفرائضها.

فلما بعث الله هذا النبي ﷺ أمره بأمر واحد، وهو رد الحنيفية البيضاء إلى كمالها وهو الإسلام، وإقامة السلم في الناس. وجعل طريقها تلاوة آيات الله وتعليم الشرائع والحكمة والتزكية، كما أخبر الله تعالى عن دعاء إبراهيم عليه السلام حين دعا لهذا البلد وبنى هذا البيت المحرم: ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾ [سورة البقرة/١٢٨-١٢٩].

وقد أوضح الله لنا رباط هذا البلد الأمين، والإسلام، وتلاوة القرآن، وأن ذلك هو غاية هذه البعثة المتممة حيث قال تعالى: ﴿قل إنما أمرت أن اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن﴾ [سورة النمل/٩١-٩٢].

فبحسب هذا الربط أتبع هذه سورة البلد الأمين سورة اقرأ، وجعل نعمة القرآن غاية خلق الإنسان والبرهان على كونه أحسن تقويم. وبين ذلك في السورة التالية، فقال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ إلى قوله: ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾ [سورة العلق/١-٥]. وأقرب منه قوله تعالى: ﴿الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان﴾ [سورة الرحمن/١-٤].

فدل على أن القرآن مثل خلق الإنسان من أوضح مظاهر رحمته، فجمع بينهما. فإنه يعطي كل شئ حسبما جعله مستعدا له، كما هو مبسوط في موضعه

وبالجملة فكون الإنسان في أحسن تقويم يتبعه أن يعطى القرآن، فإن ذلك هو الرجوع إلى أحسن تقويم، وبروز ما أودع في فطرته من الكمال.

هذا، والله تعالى هو الملهم للرشاد والموفق للسداد. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة على محمد النبي الأمين، وآله وصحبه أجمعين.

تفسير سورة التين
فهرس مطالب الفصول